مجلة المرابط

العدد : ٢١٨ الموافق في ذو الحجة ١٤٢٠ هجري ٤ / ٢٠٠٠ ميلادي

عنوان المقال : فيينا .. غروزني .. !!	بقلم : أبو إلياس

إن مما ميز مطالع هذا العام على الساحة الأوروبية هو صعود حزب اليمين المتطرف في النمسا. ولقد أثار ذلك ردود أفعال شتى على الساحة الدولية بشكل عام ، وعلى الساحة الأوروبية بشكل خاص.

وحُقَّ للاتحاد الأوروبي أن يغتاظ وينكر على النمسا -وهي أحد أعضائه- قبولها بدخول حزب متطرف داخل حكومتها وتقليده مسؤوليات مهمة داخل هذه الحكومة.

إن الاتحاد الأوروبي أبى أن يترك الحدث يمر مرور الكرام ، وأبى بشكل خاص أن تؤخذ تصريحات "جورج هيدر" (رئيس حزب اليمين المتطرف) السابقة مأخذ الهزل، فعمد إلى تطبيق عقوبات سياسية وإن كانت رمزية ضد النمسا ، مع العلم أن الشعب النمساوي لم يصوت كله مع الحزب المذكور. والولايات المتحدة الأمريكية من جهتها استنكرت هذا الأمر بجد. إذ لا يعقل أن يمر الحدث بدون تعبير عن حد أدنى من القلق تجاه بلد عضو في الاتحاد الأوروبي، استساغ إشراك حزب متعاطف مع النازية في حكومته. إن السكوت عن ذلك معناه التنكر لحقوق الإنسان ولضحايا النازية ، وتعريض مبدأ حقوق الإنسان للخطر مستقبلا، وهذا لا يليق بالغرب الذي نصب نفسه راعيا وحاميا لهذه الحقوق .

وفي نفس الأسبوع الذي تعالت فيه الأصوات في الغرب ضد ما أقدمت عليه حكومة النمسا ؛ معبرة عن قلقها من خطر الخطاب اليميني المتطرف على حقوق الإنسان، نقلت وكالات الأخبار العالمية خبر دخول القوات الروسية مدينة "غروزني" لتقتنص آخر ما تبقى من المدنيين وتسوقهم إلى الموت كما تساق الشياه. فهل سمعنا تنديدا ؟ وهل سمعنا استنكارا ؟ وهل سمعنا إمكانية فرض عقوبات على روسيا ؟ إننا لم نسمع ولم نر من ذلك شيئا، لا من طرف الاتحاد الأوروبي ، ولا من طرف الولايات المتحدة !!.

قد يقال : إن روسيا ليست عضوا في الاتحاد الأوروبي، عكس النمسا. ونقول : إن روسيا عضو في المجلس الأوروبي الذي من مهامه رعاية حقوق الإنسان. وهي أيضا عضو بارز في منظمة الأمن والتعاون الأوروبي المكلفة بحل النزاعات بطريقة سلمية. وعلاوة على ذلك فروسيا من وجهة نظر أوروبا بلد يتطلع إلى أن يكون من جديد عضوا بارزا ومحترما على الساحة الدولية. إلا أن سياسة روسيا القذرة تجاه الشيشان تفند مع الأسف أحلام أوروبا تلك.

فلقد رأينا روسيا على امتداد أربعة أشهر ونصف تقصف "غروزني" مستعملة في ذلك كل أنواع

القنابل ، بما في ذلك المحرمة دوليا. فأصبحت "غروزني" على إثر ذلك مدينة " أشباح " خالية من أهلها. والذين كتب لهم البقاء على قيد الحياة تحت أنقاض المنازل المدمرة من أطفال وشيوخ ونساء .. قد حيل بينهم وبين كل إمكانية التمريض، لأن الروس منعوا أي منظمة إنسانية من الوجون في عين المكان لتقديم الإسعافات. ومما ساعد الجنود الروس ، في عربدتهم وبطشهم وإجرامهم، ذلك الصمت المخزي الذي التزمه الغرب. فهناك معتقلات للتصفيات الجماعية تضم عشرات الآلاف من المدنيين. وهي معتقلات محرم زيارتها على أي مراقب محايد.

إن الحرب التي يشنها الروس في الشيشان "تطهير عرقي" تماما كالذي كان يحلم به "سلوبودان ميلوزيفتش". إن ما يقع في الشيشان جرائم حرب بدون منازع. ومع ذلك فقد آثر الغرب الصمت كل الصمت. فمجاملة الولايات المتحدة الأمريكية لروسيا كاملة وتامة. ومجاملة أوروبا تقترب من ذلك أيضا.

إن هذا الاختلاف في التعامل مع النمسا والشيشان ؛ بالاعتراض على النمسا على قبولها داخل حكومتها بحزب تتعارض سياسته مع مبدأ حقوق الإنسان ، وتجاهل نفس هذه الحقوق التي تهدر في الشيشان ؛ إن هذه الازدواجية في التعامل مع مبدأ حقوق الإنسان ليبرهن على -لمن لا يزال في حاجة إلى دليل- أن الخطاب الغربي حول حقوق الإنسان أقل ما يقال عنه أنه خطاب تافه وهو ضرب من النفاق عظيم.